مقاييس نقد متون السنة عند العلامة عبيد الله المباركفورى(ت1414 هـ)
فى كتابه "مَرْعَاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"

عبد الله مبروك محمد على*

رحاب رفعت فوزى عبدالمطلب حسين**

المستخلص :

إن هذا البحث ينطلق من إشكالية محددة تتمثل فى سؤال مركزي ، هو :

ما هو منهج الإمام عبيد الله المباركفورى فى نقد متون السنة ؟

وما هى المقاييس التى اعتمد عليها, وهل خالف العلماء فى مقاييسه أم وافقهم ؟

ومن المعلوم لدى الجميع مدى اهتمام علماء الهند بالسنة النبوية المطهرة, وعبيد الله واحد منهم, فيجب البحث والتنقيب عن مناهجهم العلمية فى نقد السنة, هل وافقوا أهل هذه الصنعة أم خالفوهم .

ولما كان الأمر فى نقد متون السنة محكم ومقيد ولا يعتمد على الأهواء والآراء, كان ولا بد أن نبحث فى كتب شروح السنة عن هذه القواعد والأصول التى صار عليها علماء هذه الأمة. وقد كان كتاب " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" أحد هذه الكتب الشارحة لكتب الحديث, وقد عمد مؤلفه إلى توضيح الأحاديث وشرحها وبيان درجتها, وتمييز صحيحها من سقيمها, مع نقدها سندًا ومتنًا.

فتعين محور هذا البحث ببيان المقاييس التى اتخذها الإمام المباركفورى فى نقد المتون, وبيان عللها.

الكلمات الدالة: نقد متون السنة , النقد الداخلى , علل المتون .

* الدرجة (دكتوراة) – قسم اللغة العربية – كلية البنات - جامعة عين شمس – مصر

abed_alla80@yahoo.com

** أستاذ الدراسات الإسلامية - قسم اللغة العربية – كلية البنات - جامعة عين شمس – مصر

rehaabrefaat@gmail.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادى له , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:-

فقد بذل المحدثون أعظم الجهدِ للحفاظ على السنة النبوية المشرفة , وصيانتها من الوضع والتزييف , وحمايتها من التبديل والتحريف , وأسفرت جهودهم عن أقومِ وأدق منهجٍ نقدى عرفه التاريخ , حتى صارت الطريقة المتبعة فى الإسلام لتوثيق الأحاديث النبوية أفضل طريقٍ وأعلاها , لا تدانيها فى دقتها وسموها أى طريقة علمية اتُبعت فى توثيق الروايات , ولا شك أن هؤلاء المحدثين كانوا يعملون بهداية من الله ورعاية وتوفيق , لأنهم كانوا الأدوات والوسائل إلى تحقيق وعده الصادق النافذ , الذى لا يعوقُ نفاذه شئ فى قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9] والذكر هو القرآن والسنة.

وكان الشيخ أبو الحسن عبيد الله المباركفورى (المتوفى: 1414هـ) أحد هؤلاء النجباء الأمناء , الذين اختارهم الله للقيام بواجب تبليغ السنة والحفاظ عليها , والتمييز بين صحيحها وسقيمها , فصنف كتابه النافع" مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" إسهامًا منه فى الوصول إلى هذه الغاية الشريفة.

أهمية الموضوع:-

يعدُ كتابه " مرعاة المفاتيح " من أفضل شروح كتاب " مشكاة المصابيح", وذلك لما تضمنه من مزايا مع وضوح العبارة وسلاسة الأسلوب , وما أودعه من بدائع الفوائد الجليلة ونفائس الأبحاث الممتعة التى لا غنى عنها , فقد ذكر اختلاف الفقهاء وأقوالهم فى مسائل الخلاف مع سرد حجج هذه الأقوال , ثم عين القول الراجح , وأيده بالأحاديث والآثار , ثم اعتنى بحل الإشكالات ودفع المتعارض منها , كذلك سرد الحديث بتمامه إن ذكره المؤلف مختصرًا , ثم قام ببيان درجته من الصحة أو الضعف .

كذلك كتب تراجم لمجموعة كبيرة من الصحابة والتابعين وغيرهم بقدر الحاجة , ثم أوفى القول فى توضيح معانى الأحاديث .

وكان كثيرًا ما يرد على التأويلات الواهية, التى اخترعها أهل الهوى من المبتدعين والمقلدين الجامدين المتعصبين لصوغ الأحاديث النبوية على مسالكهم الزائفة, وأهوائهم الباطلة .

وقد أجاب بأحسن وجه على المطاعن التى يوردها المقلدون على مسالك فقهاء أهل الحديث فى شروحهم, وحواشيهم وتعليقاتهم على كتب الحديث.

والتزم الكلام على أحاديث غير الصحيحين وانتقادها , وبين درجتها من الصحة أو الضعف , معتمدًا فى ذلك على مناهج النقاد من أهل الحديث .

لذا قامت هذه الدراسة: لبيان مقاييس نقد متون السنة عند الإمام عبيد الله المباركفورى.

أولاً : أسباب اختيار الموضوع, وأهدافه:-

تكمن أسباب اختيار الموضوع فى النقاط الآتية:

1- كونه يهتم بدراسة السنة باعتبارها ثانى مصادر التشريع الإسلامى، فيجب الذب عنها من أن ينسب إليها ما ليس منها.

2- هذه الدراسة تبين أهمية علم الحديث فى توثيق سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

3- أنه يعالج جانبًا من جوانب علم الحديث, وهو ما يعرف بـ " نقد متون السنة", أى: النقد الداخلى للسنة, ليدفع ما أثير من شبهات حول السنة من أن العلماء اهتموا بالأسانيد دون المتون.

4- بيان الأسس التى اتخذها الإمام المباركفورى فى الحكم على المتون , وبيان عللها.

5- بيان الأسس التى اعتمدها عبيد الله المباركفورى فى الأحاديث التى ظاهرها يعارض القرآن الكريم .

6- تعنى هذه الدراسة ببيان العلل الواقعة فى بعض الأحاديث التى تخالف بعضها البعض .

7- الكشف عن المقاييس التى اعتمدت فى بعض مدارس الهند, باعتبار أن الإمام عبيد الله المباركفورى أحد تلاميذها.

8- الوصول إلى خلاصة القول فى المتون التى انتقدها الإمام المباركفورى فى كتابه.

9- حاجة الأمة إلى هذا العلم، لتوضيح أن العلماء اهتموا بالسند والمتن معًا .

ثانياً : منهج البحث:-

تقوم الدراسة على المنهج الوصفى القائم على الاستقراء والتحليل والمنهج النقدى , مستعينًا بأقوال أهل العلم من المتخصصين سواءً من المتقدمين على الإمام المباركفورى, أو المتأخرين عنه

ثالثاً : مشكلات البحث:-

كثرة المصادر التى اعتمد عليها المباركفورى , وتنوعها , وتشعب مادة الكتاب فى شتى مناحى علوم الحديث , وتعلقها بعلم الفقه والخلاف.

دقة الموضوع ، لأنه يتعلق بنقد السنة النبوية، وإثبات صحة الحديث من ضعفه , وتصفية السنة من الشوائب هو أمر فى غاية الصعوبة , خاصة إذا ارتبط ذلك بأحاديث فقهية عليها مستند كثير من المذاهب الفقهية.

رابعاً : الدراسات السابقة:-

بحثت عن الدراسات السابقة التى تتناول هذا الموضوع, فلم أجد إلا مقالة فى مجلة صوت الأمة – الهند – مجلد 46 – العدد الثانى – وهو بعنوان (المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى – رحمه الله – مؤلف "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" حياته وأعماله).

لكن هذه الدراسة لم تتناول مقاييس نقد متون السنة عند الإمام المباركفورى فى كتابه " مرعاة المفاتيح " , إنما كانت هذه الدراسة عبارة عن خمس صفحات تقريبًا , تحدثت عن حياته وأعماله التى خلفها, دون الخوض فى تفاصيل نقد الحديث عنده عامة, أو نقد متون السنة خاصة.

خطة البحث

تشتمل الخطة على مقدمة, وتمهيد, وخمس مباحث, وخاتمة .

المقدمة : تشتمل على أسباب اختيار الموضوع وأهميته, والدراسات السابقة عليه, ومنهج البحث ومشكلاته, وخطته.

التمهيد ويشتمل :-

أولاً: التعريف بالخطيب التبريزى.

ثانيًا: التعريف بكتاب "مشكاة المصابيح" ومنهج الخطيب فيه.

ثالثًا: التعريف بالإمام عبيد الله المباركفورى.

رابعًا: التعريف بكتاب "مرعاة المفاتيح" ومنهج المباركفورى فيه

مقاييس نقد المتون عند المباركفورى وفيه:-

المبحث الأول: عرض الحديث على القرآن الكريم.

المبحث الثانى: عرض الحديث على السنة النبوية الصحيحة, أو الحسنة.

المبحث الثالث: عرض الحديث على الإجماع .

المبحث الرابع: عرض الحديث على القياس.

المبحث الخامس: عرض الحديث على التاريخ , والوقائع التاريخية.

أما الخاتمة فتتضمن أهم ما يصل إليه البحث من نتائج.

أولاً: التعريف بالخطيب التبريزى.

هو: العلامة الشيخ ولى الدين , محمد بن عبد الله الخطيب العمرى، أبو عبد الله ، التبريزى , عالم بالحديث , من أعيان ومحدثى المائة الثامنة للهجرة[1].

قال عنه الكتانى فى الرسالة المستطرفة :" الإمام ولى الدين بقية الأولياء, وقطب العلماء, أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى – بكسر التاء –, نسبة إلى تبريز من أكبر مدن أذربيجان[2] , كذا ذكره السمعانى وغيره بالكسر للتاء, والمشهور فتحها" [3].

توفى سنة 743هـ .

ثانيًا: التعريف بكتاب "مشكاة المصابيح", ومنهج الخطيب فيه.

اعتمد المصنف – رحمه الله – فى تأليفه على كتاب مصابيح السنة للإمام البغوى – رحمه الله –، وذلك أنه وجد هذا الكتاب أجمع كتاب صنف فى بابه ، حيث جمع فيه معظم ما يحتاجه المسلم من أحاديث العقائد, والعلم, والعبادات, والمعاملات, والآداب, والرقائق, والفتن, والفضائل, والمناقب، لكنه يختلف عن الجوامع فى خلوه من كتابى التفسير والمغازى, ولكن الإمام البغوى صاحب المصابيح أغفل إسناد بعض الأحاديث، ولم يذكر مخرجها، فجاء الخطيب التبريزى، فذكر ما أغفله صاحب المصابيح، وأودع كل حديث فى موضعه.

وقد سرد الخطيب التبريزى الكتب والأبواب كما سردها صاحب المصابيح، فرتب الكتب على ترتيب كتب الفقه، وقسم الكتاب إلى أبواب، وقسم كل كتاب غالبًا إلى ثلاثة فصول:–

أولاً: ما أخرجه الشيخان أو أحدهما.

ثانيًا: ما أورده غيرهما من الأئمة.

ثالثًا: ما اشتمل على معنى الباب من أحاديث وإن كانت موقوفة.

ثالثًا: التعريف بالإمام عبيد الله المباركفورى.

هو: أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبد السلام بن خان بن محمد بن أمان الله بن حسام الدين, الرحمانى, المباركفورى, ولد فى محرم الحرام سنة 1327هـ, ببلدة مباركفور (معروفة الآن بقرية حسين آباد), التابعة لمدينة أعظم كره, إحدى مدن الولاية الشمالية (أتر برديش) فى الهند، انتقل مع والده – رحمه الله – إلى دار الحديث الرحمانية بدلهى، وكمل دراسته هناك، وتخرج على أيدى الأساتذة المتخصصين فى كل فن من فنون العلم، فدرس من كتب الحديث الصحيحين للإمامين البخارى ومسلم، والموطأ للإمام مالك, ونور الأنوار, وتفسير الجلالين, وجامع الترمذى, والمقامات الحريرية, وديوان الحماسة وغير ذلك.

1- الأعلام للزركلى – الطبعة: الخامسة عشر – دار العلم للملايين – 2002م – (234/6).

2- هى إحدى محافظات إيران ، تقع شمال غرب إيران وعاصمتها مدينة تبريز, انظر معجم البلدان لياقوت الحموى – طبعة دار الفكر – بيروت– (128/1).

3- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتانى – تحقيق: محمد المنتصر الزمزمى – دار البشائر الإسلامية – الطبعة السادسة: 1421هـ –2000م – (177/1).

حصل على شهادة العالمية من المدرسة الرحمانية سنة 1345 من الهجرة، وقرأ أيضًا فى أيام العطلة المدرسية أوائل جامع الترمذى، وقدرًا معتدًا به من شرح النخبة, ومقدمة ابن الصلاح, والسراجية فى علم الفرائض على الإمام المحدث الشيخ عبد الرحمن المباركفورى صاحب كتاب " تحفة الأحوذى" – رحمه الله – فى بيته، وأجاز له الشيخ – رحمه الله – برواية كتب الحديث شفاهًا.

ونظرًا إلى ذكائه ونجاحه فى الاختبارات دائمًا بالدرجة الممتازة, عينه الشيخ عطاء الرحمن صاحب دار الحديث الرحمانية, والمشرف الوحيد عليها, والمتكفل لجميع ما تحتاج إليها من النفقات, مدرسًا فيها فى نفس السنة التى تخرج فيها, وفوض إليه تدريس كتب الحديث، خاصة جامع الترمذى, وسنن أبى داود, وصحيح الإمام البخارى, والموطأ للإمام مالك, مع خدمة الإفتاء[1].

توفى الشيخ رحمه الله فى عام 1414 هـ .

رابعًا: التعريف بكتاب "مرعاة المفاتيح", ومنهج المباركفورى فيه.

كتاب "مرعاة المفاتيح" للشيخ أبى الحسن عبيد الله بن محمد المباركفورى، يحتوى على الفوائد الجليلة, ونفائس الأبحاث التى يحتاجها المشتغلون بعلم الحديث الشريف, كما أنه يغنى عن كثير من الكتب فى باب تخريج الأحاديث وتنقيحها.

وقد عمد مؤلفه إلى توضيح الأحاديث وشرحها, وذكر معانيها المشتملة على مسائل الفقه والكلام المعول عليها عند السلف الصالح.

إضافة إلى أنه عنى بالإجابة عن المطاعن التى يوردها المقلدون على مسالك فقهاء أهل الحديث فى شروحهم, وحواشيهم, وتعليقاتهم على كتب الحديث.

كما التزم تخريج ما أورده المؤلف من أحاديث الصحيحين، والتزم الكلام على أحاديث غير الصحيحين وبين درجتها من الصحة أو الضعف، وذكر اختلاف الفقهاء وأقوالهم فى المسائل الخلافية مع سرد حجج هذه الأقوال.

يتكلم على رجال الإسناد , ويعقد لهم التراجم , مبينًا فى ذلك مرتبته فى الجرح والتعديل , مع ذكر أقوال العلماء فيه , وإن اختلف فى راوى من ناحية الجرح والتعديل , فيرجح أحد أقوال أهل العلم على الآخر , متبعًا فى ذلك منهج وقواعد علم الجرح والتعديل .

غالبًا ما يذكر المباركفورى بعض الفوائد, والأحكام المستنبطة من الأحاديث.

ينقل المباركفورى المذاهب الفقهية المتعلقة بالمسألة , ويناقشها ويتوسع فيها , فيذكر أراء الصحابة, والتابعين, وبقية الفقهاء , مع إيراد أدلتهم والرد عليها , وغالبًا ما يقوم بالترجيح بين المذاهب.

يذكر المباركفورى فوائد كثيرة تتعلق بالسند, أو بالمتن فى أثناء شرحه .

1- انظر تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث للدكتور ربيع بن هادى المدخلى – الطبعة الأولى – مجالس الهدى– صفحة 298.

مدخل فى مقاييس نقد المتون:-

المطلب الأول: تعريف النقد لغة, واصطلاحًا:-

النقد لغة:

النقد: هو التمييز بين الأشياء, بقصد الفصل بين جياد الأشياء و رديئها, وإخراج ما فيها من الزيف[1], ومنه قول الشاعر:

تَنْفِي يَداها الحَصىَ فِي كُلِّ هاجِرَةٍ ... نَفْيَ الدَّراهِيمِ تَنْقادُ الصَّيارِيفِ [2]

النقد اصطلاحًا: المقصود بالنقد النظر فى روايات الحديث : سندًا ومتنًا ؛ وذلك بتطبيق الأسس التى وضعها نقاد الحديث ، لمعرفة صحيحه من غيره.

وقيل[3]: هو معرفة حقيقة الرواية , وتميز الأحاديث الصحيحة من سقيمها, وبيان عللها بألفاظ مخصوصة, ذات دلائل معلومة عند أهل هذا الفن .

وعلم النقد علم دقيق جدًا لم يرزق به إلا القليل من العلماء, لأنه جمع بين الملكتين العقلية والعلمية, و بدونهما لا يمكن بحال من الأحوال التمييز بين الجيد و الرديء, وهو رزق الله يعطيه لمن يشاء من عبادة, ولا يأتى إلا بعد التعب والمذاكرة وطول النظر فى كتب العلماء, ومجالستهم, والأخذ بالقواعد المنضبطة التى تكشف عيوب الراوى والرواية.

قال الخطيب البغدادى: (إن المعرفة بالحديث ليست تلقينًا، وإنما هو علم يحدثه الله فى القلب؛ أشبه الأشياء بعلم الحديث معرفة الصرف ونقد الدنانير والدراهم، فإنه لا يعرف جودة الدينار والدراهم بلون، ولا مس، ولا طراوة، ولا دنس، ولا نقش،ولا صفة تعود إلى صغر أو كبر، ولا إلى ضيق أو سعة، وإنما يعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف البهرج والزائف، والخالص والمغشوش، وكذلك تمييز الحديث، فإنه علم يخلقه الله تعالى فى القلوب بعد طول الممارسة له والاعتناء به .)[4] .

المطلب الثانى: تعريف المتن لغة, واصطلاحًا:-

المتن لغة: بفتح الميم ، وسكون المثناة الفوقية, وهو مأخوذ من الشئ المتين, وهو القوى الشديد, قال ابن فارس: (الميم والتاء والنون ، أصل صحيح واحد يدل على صلابة فى الشئ مع امتداد وطول)[5] .

1- دراسات فى منهج النقد عند المحدثين- المؤلف : محمد علي قاسم العمرى – طبعة: دار النفائس – الأردن – تاريخ النشر:2000م – صفحة رقم 11 .

2- تاج العروس للزَّبيدى- تحقيق: مجموعة من المحققين – دار الهداية – (230/9).

3- منهج النقد عند المحدثين – المؤلف: محمد مصطفى الأعظمى – الناشر: مكتبة الكوثر – تاريخ الطبعة: 1410هـ- 1990م- صفحة رقم 5.

4- الجامع لأخلاق الراوى للخطيب – تحقيق: د. محمود الطحان- مكتبة المعارف – (255/2).

5- معجم مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – طبعة: دار الجيل – بيروت –1420هـ – 1999م – (294/5) .

ويطلق المتن فى اللغة على عدة معانٍ منها[1]:.

1 . الحلف ، يقال متن لى بالله أى حلف.

2 . النكاح, يقال قد متنها متنًا .

3 . الضرب بالسوط فى أى موضع كان .

4 . الذهاب فى الأرض .

5 . المد ، وقد متنه متناً إذا مدّه .

6 . ما صلب من الأرض وارتفع واستوى .

7 . الرجل الصلب القوى, يقال : رجل متن .

إلى غير ذلك من المعانى .

المتن اصطلاحًا[2]: هو غاية ما ينتهى إليه السند من الكلام, وهو من المماتنة أى: المباعدة فى الغاية, فغاية الكلام, أو غاية السند عند أهل الحديث.

وقيل: ألفاظ الحديث التى تقوم بها المعانى .

وقيل: هو ما ينتهى إليه الإسناد .

المطلب الثالث: دوافع النقد:-

ويدور هذا المطلب حول سؤال مهم, لماذا نلجأ لنقد الحديث أو متن الحديث, وما هو العائد وراء نقد المتن, أو ما الفائدة من نقد المتن .

ويمكن الإجابة عن هذا السؤال: بأن الدافع من النقد يتلخص فى أمور, منها:-

1- الاهتمام بالسنة النبوية المطهرة, لأنها هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلام , وأن أغلب الأحكام الإسلامية مأخوذة منها .

2- معرفة السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -, لأن الناقد يعارض الرواية الموضوعة بالسنة الثابتة, والضعيفة بالصحيحة, ويعارض الروايات المعلولة بالروايات السالمة من العلل, فينتج من خلال نقده معرفة الأحاديث الصحيحة .

3- صيانة سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أن يدخل فيها ما ليس منها, أو أن يتلاعب بها أهل الأهواء والبدع كما هو الحال فى الوقت الحاضر .

1- انظر: أساس البلاغة للزمخشري – طبعة: دار الفكر – بيروت – 1399هـ – 1979م – (581/1), تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى (144/36) .

2- انظر: نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر– المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلانى – تحقيق: نور الدين عتر – طبعة: مطبعة الصباح– دمشق – الطبعة الثالثة: 1421هـ – 2000م – (106/1), شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر للقارى – تحقيق: عبد الفتح أبو غدة – طبعة: دار الأرقم – لبنان – (543/1), الخلاصة فى معرفة الحديث للطيبى – تحقيق: أبو عاصم الشوامى الأثرى – المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى: 1430هـ – 2009م – (27/1) .

4- ظهور الكذب فى الروايات, وظهور فرق ومذاهب مبتدعة فى عصور الرواية, وظهور القصاصون وانتشار القصص والوعظ بالكذب, لذلك كان علماء السلف يحتاطون فى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم–, ويتشددون فى ضبطه ونقله ونقده, لأن هؤلاء كان يضعون الأسانيد مع المتون, فيأتون بأسانيد حسنة, أو صحيحة ثم يضعون عليها المتون, فكان ولا بد من ظهور لون جيد من ألوان نقد الحديث – نقد المتون – لكى يفند كذبهم من صدقهم, ويدافع عن السنة الصحيحة ويكون حارثًا لها من أن تشبها شائبة .

5- تزييف الحقائق والوقائع المعلومة, إن مما دعت إليه الحاجة بعد ضياع الحقائق بين المضللين على مر العصور هو علم النقد, لأنهم لا يتحدثون بالحقيقة أبدًا, فكان ولا بد من نقد مروياتهم بالتاريخ, فالتاريخ يبين لنا الكذاب من غيره .

6- دفع الشبهات التى أثارها المستشرقون, من أن المحدثين قد عُنوا بنقد الأسانيد ولم يعنوا بنقد متون السنة.

المطلب الرابع: مقاييس نقد متون السنة:-

وضع علماء الحديث مقاييس وضوابط يعرفون بها كون المتن ثابتًا عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أو غير ثابت، وصاروا على تلك الضوابط والتزموا بها, لأن نقد المتن ورده لا يتحقق بالفكر وإعمال العقل فقط, بل لابد له من ضوابط ومعايير يصار إليها, وليس هو محل اجتهاد فقط, فليس كل من يقرأ كتابًا, أو يسمع درسًا يتكلم فى هذا العلم كما هو الحال مع بعض الإعلاميين والمستغربين فى الوقت الحاضر, فيردون المتون بسبب أنها لا توافق أهوائهم أو بدعهم ولا يعتمدون فى أحكامهم على قواعد هذا العلم, إنما يتحدثون من أجل تعطيل السنة فقط.

ولما كان الأمر محكمًا ومقيدًا ولا يعتمد على الأهواء والآراء, كان ولا بد أن نتحدث عن هذه القواعد والأصول التى صار عليها الإمام عبيد الله ولو على سبيل الإجمال, وتمثل منهجه فى الآتى:-

1- مخالفة الحديث صريح القرآن الكريم .

2- مناقضة الحديث لما ثبت بالسنة النبوية المطهرة .

3- مخالفة المتن للإجماع القطعى الذى لا يقبل التأويل .

4- عرض المتن على الوقائع, والمعلومات التاريخية .

5- مخالفة المتن للقياس .

وقد صار على هذه القواعد جميع علماء الحديث فى القديم والحاضر, كلهم اتفقوا على هذه الأصول والقواعد, وأعملوها فى كتبهم من زيادة ونقصان كل على حسب سعة معرفته وعلمه, ولن تنتقد المتون إلا من خلال تلك القواعد, وكان من أحد هؤلاء النقاد الإمام عبيد الله المباركفورى, فقد نقد المتن فى كتابه وفق هذه القواعد والأصول, ولم يكن له منهج مغاير عن نقاد الحديث.

مقاييس نقد المتون عند المباركفورى, وفيه:-

المبحث الأول: عرض الحديث على القرآن الكريم.

من المقاييس التى استخدمها علماء الحديث فى نقد المتن : عرض متن الحديث على القرآن الكريم, فمن علامات فساد الحديث ورده مخالفة الحديث صريح القرآن, فالحديث الذى يخالف القرآن وأحكامه لا يمكن بحال من الأحوال قبوله أو الحكم بصحته, وهذا من أبرز القواعد فى نقد متون السنة كما بين ذلك ابن القيم فى كتابه " المنار المنيف فى الصحيح والضعيف "[1].

وقد اعتمدوا فى ذلك على قاعدة: عرض المتن على القرآن الكريم, فإن كان مخالفًا له مخالفة لا يمكن الجمع بينهما, ولا يعرف المتأخر من المتقدم حتى يعرف النسخ , رد الحديث وحكم عليه بالضعف أو بالوضع, وهذه قاعدة عامة فى هذا الباب, وقد فطن لذلك الإمام عبيد الله المباركفورى فى حكمه على الأحاديث التى قام بالحكم عليها, لكنه لم يتوسع فى هذا المنهج بل استخدمه فى أضيق الأحوال, ويعد منهجه فى نقد المتن بالقرآن الكريم نادر جدًا بالنسبة للأحكام الأخرى على الأحاديث, ولم أقف فى هذا المبحث إلا على حديث واحد فى كتاب الطهارة, باب أحكام المياه, وهو[2]: حديث عبد الله بن مسعود – رضى الله عنهما–, أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال له ليلة الجن: " ما فى إِدَاوَتِكَ؟ قال: قلت:

نبيذ، قال: تمرة طيبة, وماء طهور " , رواه أبو داود[3]، وزاد أحمد[4]، والترمذى[5]: " فتوضأ منه ", وقال الترمذى: أبو زيد مجهول.

قد أبطل الإمام عبيد الله هذا الحديث؛ لأنه مخالف للقرآن الكريم فقال: (...ومن وجوه الطعن فى حديث ابن مسعود هذا أنه مخالف لكتاب الله، لأن الله تعالى قال: " فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيباً "[6] ، والنبيذ ليس بماء)[7].

ويتضح من تضعيف عبيد الله المباركفورى لهذا الحديث , أنه قد نظر إلى متنه فوجده مخالف للقرآن الكريم من ناحية, وإن صح – وهو غير ذلك – فهو منسوخ من ناحية أخرى, لأن الأصل فى الطهارة تكون بالماء, ولا يأتى التيمم إلا عند تعذر وجود الماء بسبب من الأسباب فحين إذن تكون الرخصة, لذا

1- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف – المؤلف: محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – طبعة: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – الطبعة الأولى – تاريخ النشر: 1390هـ –1970م – (80/1) .

2- مرعاة المفاتيح (177/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه.

3- سن أبى داود (63/1) – كتاب الصلاة – باب الوضوء بالنبيذ – حديث رقم 84, عن هناد وسليمان بن داود العتكى، قالا: حدثنا شريك، عن أبى فزارة، عن أبى زيد, عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه –, وهذا إسناد ضعيف فيه: أبو زيد المخزومى – مولى عمرو بن حريث –, وقيل: أبو زائد مجهول, انظر: تهذيب التهذيب (102/12), تقريب التهذيب (642/1) .

4- مسند الإمام أحمد (359/6) – حديث رقم 3810, عن يحيى بن زكريا, عن إسرائيل, عن أبى فزارة, عن أبى زيد,عن ابن مسعود – رضى الله عنه – .

5- سنن الترمذى (147/1) – كتاب الطهارة – باب ما جاء فى الوضوء بالنبيذ –حديث رقم 88, من طريق أبى داود .

6- سورة النساء – الآية رقم 43 .

7- مرعاة المفاتيح (181/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه .

قال:(لو كان صحيحاً وهو غير صحيح، فهو من أحاديث الآحاد، فلا يعارض الكتاب ولو صلح معارضاً لكان منسوخاً بآيتى النساء[1] والمائدة[2]، لأنهما مدنيتان بلا خلاف.

وحديث ابن مسعود هذا إنما زعم رواته أنه كان ليلة الجن فى مكة, وهى قبل الهجرة)[3] .

وقد ذكر هذا الحديث الإمام ابن الجوزى فى كتابه " العلل المتناهية " فقال: (حديث ابن مسعود لا يصح, فإن أبا زيد وأبا فزارة مجهولان, قال احمد بن حنبل: أبو فزارة[4] فى حديث ابن مسعود رجل مجهول, وقال غيره: أبو زيد مجهول أيضًا, وقال أبو زرعة: هذا الحديث ليس بصحيح .)[5] .

وذكره أيضًا ابن عدى فى كتابه " الكامل فى ضعفاء الرجال", وضعفه أيضًا بما ضعفه به عبيد الله المباركفورى, وذكر أيضًا مخالفته للقرآن فقال: (وهذا الحديث مداره على أبى فزارة, عن أبى زيد مولى عمرو بن حريث, عن ابن مسعود, وأبو فزارة: مشهور, واسمه: راشد بن كيسان, وأبو زيد مولى عمرو بن حريث مجهول, ولا يصح هذا الحديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو خلاف القرآن .)[6].

المبحث الثانى: عرض الحديث على السنة النبوية الصحيحة, أو الحسنة.

لقد قام العلماء بوضع قواعد ومقاييس ومعايير دقيقة لنقد متون السنة, فعرضوا الحديث على القرآن الكريم كما سبق, ثم بعد ذلك عرضوا الحديث على السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وذلك بالنظر إلى هذه الأحاديث هل تخالف ما صح عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أم لم تصح, فإن كانت تخالف ما ثبت بالسنة الصحيحة حكم عليها بالضعف, أو بالوضع, وقد استعمل عبيد الله هذا المقياس كثيرًا فى كتابه, والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا منها على سبيل المثال لا الحصر:–

المثال الأول: أورد الإمام عبيد الله المباركفورى حديثًا (فى مسألة التسليم آخر الصلاة), وضعفه من أجل متنه, فقال: (روى عبد الله بن عمر مرفوعًا: " إذا أحدث الرجل وقد جلس فى آخر صلاته قبل أن يسلم فقد جازت صلاته", أخرجه أبو داود[7] والترمذى[8]

1– سورة النساء – الآية رقم 43 .

2- سورة المائدة – الآية رقم 6 .

3- مرعاة المفاتيح (181/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه .

4- هو: راشد بن كيسان العبسى, أبو فزارة الكوفى, وثقه ابن معين والدارقطنى, وقال أبو حاتم: صالح, له عند مسلم حديث واحد فى تزويج ميمونة – رضى الله عنها–, انظر: تهذيب التهذيب (227/3), تقريب التهذيب (204/1).

5- العلل المتناهية (357/1) – كتاب الطهارة – باب الوضوء بالنبيذ .

6- الكامل فى ضعفاء الرجال (291/7) .

7- سنن أبى داود (167/1) – كتاب الصلاة – باب الإمام يحدث بعد ما يرفع رأسه من آخر الركعة – حديث رقم 617.

8- سنن الترمذى (261/2) – كتاب الصلاة – باب ما جاء فى الرجل يحدث فى التشهد – حديث رقم 408, قال الإمام الترمذى بعد هذا الحديث: هذا حديث إسناده ليس بذاك القوى, وقد اضطربوا فى إسناده..., وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم هو الإفريقى, وقد ضعفه بعض أهل الحديث.

والحديث إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد, ومداره عليه, وهو: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أبو أيوب, ويقال: أبو خالد الإفريقى القاضى , ضعيف فى حفظه, انظر تهذيب التهذيب (173/6), تقريب التهذيب (340/1).

ففيه أنه حديث ضعيف مضطرب، قد تفرد به عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى، وضعفه أكثر الحفاظ .)[1].

ثم علق على هذا الحديث بما يتضح أنه قد ضعفه لأجل متنه, فقال: (وفيه أيضًا أنه مخالف للحديث الصحيح (وتحليلها التسليم), فلا يقوى على معارضته بل يؤخذ بالأصح)[2].

نلاحظ أن الإمام عبيد الله المباركفورى ضعف هذا الحديث لأجل متنه , فهو يخالف السنة الصحيحة, والتى وردت فى وجوب التسليم من الصلاة, لأن التحلل من الصلاة والخروج منها إنما يكون بالتسليم لا بغيره, واستدل عبيد الله المباركفورى على ضعف هذا الحديث, بإيراده أحاديث صحيحه تخالف متونها الحديث السابق, وتشير إلى أن الانتهاء من الصلاة يكون بالتسليم, وهى:-

1- الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه, عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: (كنت أرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده .)[3].

2- الحديث الذى أخرجه أبو داود فى سننه, عن عثمان بن أبى شيبة, عن وكيع, عن سفيان, عن ابن عقيل, عن محمد بن الحنفية, عن على – رضى الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " مفتاح الصلاة الطهور, وتحريمها التكبير, وتحليلها التسليم ."[4].

1- مرعاة المفاتيح (289/3) – كتاب الصلاة – باب الدعاء فى التشهد.

2- المرجع السابق: الموضع نفسه .

3- صحيح مسلم (409/1) – كتاب الصلاة – باب السلام للتحليل من الصلاة عند فراغها وكيفيته – حديث رقم 582.

4- سنن أبى داود (16/1) – كتاب الطهارة – باب فرض الوضوء – حديث رقم (61), إسناده حسن فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو: صدوق حسن الحديث, انظر تقريب التهذيب (321/1)، باقى رجاله ثقات رجال الشيخين، وصحح إسناده الإمام النووى فى المجموع (289/3) ، وابن حجر فى الفتح (322/2).

وأخرجه الترمذى فى سننه(9/1) – كتاب الطهارة – ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور – حديث رقم 3, من هذا الطريق وقال: هذا الحديث أصح شئ فى هذا الباب وأحسن, وعبد الله بن محمد ابن عقيل هو صدوق, وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

والحديث صحيح لغيره بمتابعاته وشواهده, وله شاهد عند الترمذى فى سننه (3/2) – كتاب الصلاة – باب ما جاء فى تحريم الصلاة وتحليلها – حديث رقم 238, من طريق محمد بن الفضيل, عن أبى سفيان طريف السعدى, عن أبى نضرة, عن أبى سعيد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (مفتاح الصلاة الطهور, وتحريمها التكبير, وتحليلها التسليم, ولا صلاة لمن لم يقرأ بالحمد وسورة فى فريضة أو غيرها), قال أبو عيسى: هذا حديث حسن, وفى الباب عن على, وعائشة, انظر سنن الترمذى (3/2) – كتاب الصلاة – باب ما جاء فى تحريم الصلاة وتحليلها – حديث رقم 238.

وهذا إسناد ضعيف لضعف أبى سفيان وهو: طريف بن شهاب السعدى, قال ابن حجر: ضعيف, انظر تقريب التهذيب (282/1), وأبو نضرة، اسمه: المنذر بن مالك بن قطعة.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (223/1) – كتاب الصلاة – حديث رقم 475,من طريق أبى عمرو الضرير, عن حسان بن إبراهيم, عن سعيد بن مسروق الثورى, عن أبى نضرة, عن أبى سعيد: (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " مفتاح الصلاة الوضوء, وتحريمها التكبير, وتحليلها التسليم", وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه, وشواهده عن أبى سفيان, عن أبى نضرة كثيرة, فقد رواه أبو حنيفة, وحمزة الزيات, وأبو مالك النخعى وغيرهم, عن أبى سفيان, وأشهر إسناد فيه حديث عبد الله بن محمد بن عقيل, عن محمد بن الحنفية, عن على, والشيخان قد أعرضا عن حديث بن عقيل أصلًا, ووافقه الذهبى .

3– وقال عبيد الله المباركفورى: (وقد روى البيهقى[1] بسنده عن أبى الأحوص, قال: قال عبد الله – رضى الله عنه– :" مفتاح الصلاة التكبير, وانقضاؤها التسليم, إذا سلم الإمام فقم إن شئت", قال البيهقى: وهذا الأثر صحيح عن عبد الله بن مسعود .)[2].

فقد بين عبيد الله المباركفورى من خلال إيراده لهذه الأحاديث أنها تعارض الحديث الأول وتخالفه, و أن التحلل من الصلاة والخروج منها إنما يكون بالتسليم لا بغيره, هكذا هى السنة الصحيحة الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –, لذا ضعف الإمام عبيد الله المباركفورى الحديث الأول بمعارضته متنه للأحاديث الصحيحة, وعمله هذا معروف عند علماء الحديث بعرض الأحاديث بعضها على بعض لتمحيصها , وهو أحد الأسس العلمية التى وضعوها, لصيانة حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

المثال الثانى: أورد الإمام عبيد الله المباركفورى حديثًا فى مسألة زيادة صلاة النبى– صلى الله عليه وسلم – فى رمضان, فقال:

(وأما ما روى ابن أبى شيبة فى مصنفه[1], والطبرانى فى الكبير[2] , والأوسط[3], والبيهقى[4], عن ابن عباس: " أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يصلى فى رمضان عشرين ركعة سوى الوتر"، فهو ضعيف جدًا لا يصلح للاستدلال ولا للاستشهاد ولا للاعتبار، فإن مداره على أبى شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو متروك الحديث، كما فى التقريب.)[5] , ثم نقل كلام الأئمة النقاد وطعنهم فى رواية ابن أبى شيبة وأن

روايته ضعيفة جدًا, فقال: (...قال البيهقى بعد روايته[6]: تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان العبسى الكوفى، وهو ضعيف– انتهى, ...

1- سنن البيهقى (173/2) – كتاب الصلاة – باب تحليل الصلاة بالتسليم – حديث رقم 2790.

2- مرعاة المفاتيح (289/3) – كتاب الصلاة – باب الدعاء فى التشهد.

3- مصنف ابن أبى شيبة (164/2) – كتاب الصلاة – كم يصلى فى رمضان من ركعة – حديث رقم 7692,وهو من رواية: يزيد بن هارون, عن إبراهيم بن عثمان, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس – رضى الله عنهما –, .

وهذا إسناد ضعيف جدًا فيه: إبراهيم بن عثمان ضعيف الحديث.

وهو: أبو شيبة الكوفى قاضى واسط, قال أحمد, ويحيى, وأبو داود, و صالح جزرة, والدارقطنى: ضعيف, وقال الترمذى: منكر الحديث, وقال النسائى, والدولابى: متروك الحديث, وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث, سكتوا عنه وتركوا حديثه, وقال الجوزجانى: ساقط, وقال ابن حجر: متروك الحديث, انظر تهذيب التهذيب (145/1), تقريب التهذيب (92/1) .

4- المعجم الكبير (393/11) – حديث رقم 12102, وهو من رواية: محمد بن جعفر الرازى, عن على بن الجعد,عن إبراهيم بن عثمان أبو شيبة, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس– رضى الله عنهما

5- المعجم الأوسط (324/5) – حديث رقم 5440, من نفس الطريق السابق وقال: لم يرو عن الحكم إلا أبو شيبة.

6- سنن البيهقى (496/2) – كتاب الصلاة – باب ما روى فى عدد ركعات القيام فى شهر رمضان – حديث رقم 4931, من طريق منصور بن أبى مزاحم, عن أبى شيبه, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس – رضى الله عنهما –, وقال: تفرد به أبو شيبه: وهو ضعيف.

7- مرعاة المفاتيح (321/4) – كتاب الصلاة – باب قيام شهر رمضان .

8- المرجع قبل السابق: الموضع نفسه .

وقال الزرقانى[1] فى شرح الموطأ: حديث ابن عباس فى عشرين ركعة حديث ضعيف .)[2] .

وعلق بعد ذلك على الحديث بما يتضح به أنه ضعفه من أجل متنه, وأنه مخالف لما جاء فى الصحيحين, فقال: (قد تقدم أن حديث ابن عباس ضعيف جدًا، قد أطبق الأئمة على ضعفه، ومع هذا فهو مخالف لحديث عائشة المتفق عليه .)[3] .

وحديث أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – متفق عليه, أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه[4], من رواية عبد الله بن يوسف, عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى, عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه: " سأل عائشة – رضى الله عنها – , كيف كانت صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة, يصلى أربعًا, فلا تسل عن حسنهن وطولهن, ثم يصلى أربعًا, فلا تسل عن حسنهن وطولهن, ثم يصلى ثلاثًا, قالت عائشة, فقلت: يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتنام قبل أن توتر, فقال: يا عائشة, إن عينى تنامان ولا ينام قلبى " .

وأخرجه الإمام مسلم[5], من رواية الإمام مالك, عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى, عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن, ومتنه كسابقه .

وقد ضعف جماعة من الأئمة النقاد حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – وعارضوه بحديث عائشة – رضى الله عنها –, منهم:–

1– الإمام الزيلعى فى نصب الراية[6] , فقال: (هو معلول بأبى شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو متفق على ضعفه، ولينه ابن عدى فى الكامل[7]، ثم إنه مخالف للحديث الصحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن, أنه سأل عائشة[8]: كيف كانت صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى رمضان, قالت: ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة,... الحديث.) .

1- شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك – تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد – طبعة: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى: 1424هـ – 2003م – كتاب الصلاة الليل – باب صلاة النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الوتر – (431/1).

2- مرعاة المفاتيح (322/4) – كتاب الصلاة – باب قيام شهر رمضان .

3- المرجع السابق: الموضع نفسه .

4- صحيح البخارى (385/1) – كتاب الصلاة – باب قيام النبى (صلى الله عليه وسلم بالليل) فى رمضان وغيره – حديث رقم 1096.

5- صحيح مسلم (509/1) – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الليل... – حديث رقم 738.

6- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعى فى تخريج الزيلعى –المؤلف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعى – تحقيق: محمد عوامة – مؤسسة الريان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: 1418هـ,1997م – كتاب الصلاة – فصل فى قيام شهر رمضان – (153/2) .

7- الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى (389/1) .

8- صحيح البخارى (385/1) – كتاب الصلاة – باب قيام النبى (صلى الله عليه وسلم بالليل) فى رمضان وغيره – حديث رقم 1096.

2- الإمام ابن الهمام فى فتح القدير[1], فقال بعد ذكر هذا الحديث: (فضعيف بأبى شيبة إبراهيم ابن عثمان, جد الإمام أبى بكر بن أبى شيبة, متفق على ضعفه, مع مخالفته للصحيح .) .

3- الإمام ابن حجر العسقلانى فى الفتح[2], قال بعد ذكر هذا الحديث: (فإسناده ضعيف, وقد عارضه حديث عائشة هذا الذى فى الصحيحين, مع كونها أعلم بحال النبى – صلى الله عليه وسلم – ليلًا من غيرها, والله أعلم .) , ونقله الإمام محمد شمس الحق العظيم آبادى فى عون المعبود[3].

والناظر إلى هذا المثال يجد أن هذا الحديث ضعفه العلماء من ناحية إسناده بأبى شيبة إبراهيم ابن عثمان, ومن ناحية معارضة متنه لما جاء فى الصحيحين, وهو ما قاله الإمام عبيد الله المباركفورى,

ويدل ذلك على كثرة مطالعة الإمام عبيد الله على كتب العلماء, وعلى مذاهبهم فى تضعيف الحديث ونقدهم له , بل يستخدم نتائجهم بكل مهارة فى أحكامه ونقده .

المبحث الثالث: عرض الحديث على الإجماع .

اعتمد الإمام عبيد الله المباركفورى أيضًا فى نقده لمتون السنة على مخالفة الحديث للإجماع, فما خالف الإجماع من الأحاديث ضعفه أو أبطله.

ولم أقف فى هذا المبحث إلا على حديث واحد فى كتاب الطهارة, باب أحكام المياه, وهو: حديث الوضوء بالنبيذ[4] الذى أبطله مصرحًا بأنه عارض القرآن الكريم, أبطله أيضًا بترك العلماء العمل به وإجماعهم على ذلك, فقال:

(وقالوا: على تسليم صحته لا حجة فيه؛ لأنه متروك الظاهر عند الكل إجماعاً .)[4]

المبحث الرابع: عرض الحديث على القياس.

من المقاييس التى اعتمدها عبيد الله المباركفورى فى نقده لمتون السنة مخالفتها للقياس, فما خالف القياس ضعفه أو أبطله .

فمن ذلك:

1- فتح القدير– المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى المعروف بابن الهمام – دار الفكر– بدون طبعة وبدون تاريخ – كتاب الصلاة – باب النوافل – (467/1) .

2- فتح البارى (254/4) – كتاب الصلاة – باب فضل من قام رمضان .

3- عون المعبود شرح سنن أبى داود – المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادى – طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – 1995م – كتاب الصلاة – باب صلاة الليل – (153/4) .

4- انظر: صفحة رقم 11-12.

5- مرعاة المفاتيح (181/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه .

حديث الوضوء بالنبيذ الذى رواه أبو داود[1] بسنده عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنهما–, أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال له ليلة الجن: " ما فى إداوتك؟ قال: قلت: نبيذ، قال: تمرة طيبة وماء طهور " .

قال عبيد الله مضعفًا هذا الحديث: (ومن وجوه الطعن فى حديث ابن مسعود هذا أنه مخالف لكتاب الله، لأن الله تعالى قال: {فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبًا}[2] ، والنبيذ ليس بماء.)[3].

وقام بقياس النبيذ على الماء, وأن الماء الصالح للطهارة يجب أن لا يتغير لونه ، ولا طعمه ، ولا ريحه, وإن خالطه شئ وتغير فقد خرج عن اسم الماء , حتى ولو كان المتغير به من الطاهرات, ويسمى ماء طاهر غير مطهر ولا يصح التطهر به , لذا قال:

(أو يقال: إن ماء النبيذ لا يسمى ماء مطلقاً، فواجده ليس واجد ماء، فيجب عليه التيمم بنص الكتاب، وعلى تقدير صحة الحديث كان ينبغى لأولئك أن يؤولوا هذا الحديث ليوافق الآية، على أن تلك التمرات الملقاة فى الماء لم تغيره، وتسمية ابن مسعود له نبيذًا من المجاز الأول، أو المراد به الوضع اللغوى وهو ما ينبذ فيه شيء وإن لم يغيره .)[4].

المبحث الخامس: عرض الحديث على التاريخ, والوقائع التاريخية.

من المقاييس التى اعتمد عليها الإمام عبيد الله المباركفورى فى نقده لمتون السنة عرض الحديث على التاريخ, والوقائع التاريخية, فما خالفه ضعفه أو أبطله.

فمن ذلك :–

حديث الوضوء بالنبيذ[5] صرح بأنه مخالف للقرآن الكريم, وتبين له أنه معارض بالتاريخ والوقائع التاريخية, فيضعف من قِبل هذا أيضًا فقال:

(وحديث ابن مسعود هذا لو كان صحيحًا وهو غير صحيح، فهو من أحاديث الآحاد، فلا يعارض الكتاب ولو صلح معارضًا لكان منسوخًا بآيتى النساء[6] المائدة[7]، لأنهما مدنيتان بلا خلاف.

وحديث ابن مسعود هذا إنما زعم رواته أنه كان ليلة الجن فى مكة, وهى قبل الهجرة)[8] .

فمن الواضح هنا أن عبيد الله المباركفورى ضعف حديث الوضوء بالنبيذ لأنه مخالف للتاريخ والوقائع التاريخية, لأن ليلة الجن كانت بمكة قبل الهجرة , وآيات التيمم نزلت فى المدينة أى بعد الهجرة , فعلى فرض صحة رواية الوضوء بالنبيذ فتكون بذلك منسوخة, وهو عمل جيد نابع عن إعمال فكر من عبيد الله المباركفورى فى تضعيف هذا الحديث.

1- سنن أبى داود (63/1) – كتاب الصلاة – باب الوضوء بالنبيذ – حديث رقم 84, سبق الحكم عليه صفحة رقم11 .

2- سورة النساء – الآية رقم 43 .

3- مرعاة المفاتيح (181/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه .

4- المرجع السابق: الموضع نفسه .

5- سبق ذكره والحكم عليه صفحة رقم 11 .

6- سورة النساء – الآية رقم 43 .

7- سورة المائدة – الآية رقم 6 .

8- مرعاة المفاتيح (181/2) – كتاب الطهارة – باب أحكام المياه .

الخاتمة:-

من أهم النتائج التى توصل إليها البحث هى:

أن الناظر فيه يجد أن الإمام عبيد الله المباركفورى لديه عقلية علمية ناقدة, يستطيع أن ينتقد المتون, ويخرج ما فيها من آفات, لكنه لم يستخدم جميع مقاييس نقد السنة التى أعتمدها بعض العلماء فى كتبهم, إنما أعتمد على بعضها فقط , ويمكن تلخيص النتائج فيما يلى:-

- أن منهج الإمام عبيد الله المباركفورى فى نقد المتون مثل جمهور العلماء, ليس له منهج مغاير عنهم, متبعًا فى ذلك المقاييس التى وضعوها لنقد المتن .

- من نظر إلى كتاب "مرعاة المفاتيح " وما يحتويه من نقد للأحاديث, يجد أن الإمام عبيد الله المباركفورى لم يكن متكلفًا فى النقد, إنما كان نقده بأسلوب سهل واضح, منسقًا يفيد كل من اطلع على هذا الكتاب سواءً أكان متخصصاً فى هذا العلم, أم غير متخصص.
- من أهم معالم منهجه أنه يذكر سبب نقده للمتن, مستعينًا فى ذلك بأقوال أهل العلم ممن سبقوه, مع مراعاة القواعد والأصول المقررة فى هذا الباب .
- لم يقتصر عبيد الله المباركفورى على نقد المتون بالقرآن أو بالسنة, بل ضعف الحديث حين خالف القياس, والإجماع .
- من منهجه أيضاً تضعيف المتن حين يخالف الوقائع التاريخية, لأن المعلوم بالتاريخ لا يرد بحال من الأحوال .
- يتكلم الإمام عبيد الله المباركفورى فى نقد المتن باختصار غير مخل, يذكر موضع النقد فقط, مما جعله متميزًا فى نقده.

- قدم البحث جوانب أخرى فى نقد عبيد الله للأحاديث, وكان من ذلك الاستعانة بالعلوم العقلية لأن القياس يعنى إعمال العقل .
- كشفت الدراسة عدم توسعه فى نقد المتن بالقرآن الكريم, كذلك الإجماع والقياس, ويعتبر استعماله لهذه المقاييس نادرًا جدًا بالنسبة للأحكام الأخرى .
- أبرزت الدراسة جهده الوفير فى نقد المتون بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبى – صلى الله عليه وسلم– , وتوسعه فى هذا الباب .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1– أساس البلاغة للزمخشري – طبعة: دار الفكر – بيروت – 1399هـ – 1979م .

2- الأعلام – المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس، الزركلى الدمشقى (المتوفى: 1396هـ) – طبعة: دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر: 2002م .
3- تاج العروس من جواهر القاموس – المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدى – تحقيق: مجموعة من المحققين – دار الهداية .
4- تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث المؤلف: الدكتور ربيع بن هادى المدخلى – الطبعة الأولى – مجالس الهدى .
5- تقريب التهذيب لابن حجر – تحقيق: محمد عوامة – الناشر: دار الرشيد – سوريا – الطبعة الأولى: 1406هـ – 1986م .
6- تهذيب التهذيب – المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى – الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية – الهند – الطبعة: الطبعة الأولى – 1326هـ .
7- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – المؤلف: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى – تحقيق: د. محمود الطحان – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض .
8- الجامع الصحيح سنن الترمذى – المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمى –تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون – الناشر: دار إحياء التراث العربى – بيروت .
9- الخلاصة فى معرفة الحديث للطيبى – تحقيق: أبو عاصم الشوامى الأثرى – المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى: 1430هـ – 2009م .
10- دراسات فى منهج النقد عند المحدثين– المؤلف : محمد علي قاسم العمرى – طبعة: دار النفائس – الأردن – تاريخ النشر:2000م .
11- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة – المؤلف: محمد بن جعفر الكتانى – تحقيق: محمد المنتصر الزمزمى – دار البشائر الإسلامية – الطبعة السادسة: 1421هـ–2000م .
12- سنن أبى داود – المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني – تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره – الناشر: دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى: 1430هـ – 2009م .

13- سنن البيهقى الكبرى – المؤلف: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقى – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – الناشر :مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – تاريخ النشر: 1414هـ – 1994م.

14- شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك – تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد – طبعة: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى: 1424هـ – 2003م .

15- شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر للقارى – تحقيق: عبد الفتح أبو غدة – طبعة: دار الأرقم – لبنان .

16- صحيح البخارى – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفى – تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا – طبعة: دار ابن كثير – بيروت – تاريخ النشر: 1407هـ – 1987م .

17- صحيح مسلم – المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابورى – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى – طبعة: دار إحياء التراث العربى– بيروت .

18- العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية – المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى – تحقيق: إرشاد الحق الأثرى – الناشر: إدارة العلوم الأثرية – فيصل آباد – باكستان – الطبعة الثانية: 1401هـ –1981م .

19- عون المعبود شرح سنن أبى داود – المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادى – طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – 1995م .

20- فتح الباري شرح صحيح البخارى – المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار المعرفة – بيروت – 1379هـ .

21- فتح القدير– المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى المعروف بابن الهمام – دار الفكر– بدون طبعة وبدون تاريخ .

22- الكامل في ضعفاء الرجال – المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني – تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض – الناشر: الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى: 1418هـ1997م .

23- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حسام الدين الرحمانى المباركفورى – الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند – الطبعة الثالثة: 1404هـ، 1984م .

24- المستدرك على الصحيحين – المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – تاريخ النشر: 1411هـ - 1990م .

25- مسند الإمام أحمد بن حنبل – المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى: 1421هـ - 2001م .

26- المصنف فى الأحاديث والآثار – المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة – تحقيق: كمال يوسف الحوت – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – تاريخ النشر: 1409هـ .

27- المعجم الأوسط – المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى – تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم – طبعة: دار الحرمين – القاهرة – تاريخ النشر 1415هـ .

28- معجم البلدان – المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموى أبو عبد الله – طبعة دار الفكر – بيروت .

29- المعجم الكبير – المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى – تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفى – طبعة: مكتبة الزهراء – الموصل – تاريخ النشر: 1404هـ - 1983م .

30- معجم مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – طبعة: دار الجيل – بيروت –1420هـ - 1999م .

31- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف – المؤلف: محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – طبعة: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – الطبعة الأولى – تاريخ النشر: 1390هـ –1970م .

32- منهج النقد عند المحدثين – المؤلف: محمد مصطفى الأعظمى – الناشر: مكتبة الكوثر – تاريخ الطبعة: 1410هـ - 1990م .

33- نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر– المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلانى – تحقيق: نور الدين عتر – طبعة: مطبعة الصباح– دمشق – الطبعة الثالثة: 1421هـ – 2000م .

34- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعى فى تخريج الزيلعى –المؤلف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعى – تحقيق: محمد عوامة – مؤسسة الريان – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: 1418هـ – 1997م .

Measures of Criticism of the Body of the Sunnah according to the scholar Ubaid Allah Al-Mubarakfoury (d. 1414 A.H.) In his book "Caring for the Keys, Explanation of Mishkat Al-Masabih"

Abdalla mabrok Mohamed ali
Department of Arabic Language - College of Women - Ain Shams University.
abed_alla80@yahoo.com
Rehab Rifat Fawzi Abdulmutallab Hussein
Professor of Islamic Studies - Department of Arabic Language - College of Women - Ain Shams University.
rehaabrefaat@gmail.com

Abstract

This research starts from a specific problem represented in a central question, which is:
What is the approach of Imam Ubayd Allah Al-Mubarakfoury in criticizing the body of the Sunnah?
What are the standards on which he relied, and did the scholars disagree with his standards or agree with them?

Research and exploration must be done on their scientific methods in criticizing the Sunnah, whether they agreed with the people of this profession disagreed with them. And since the matter in criticizing the body of the or Sunnah is tight and restricted and does not depend on the whims and opinions, it was necessary for us to search in the books of commentary on the Sunnah for these rules and principles that the scholars of this nation have becom. One of these books explaining hadith books was the book "Marat Al-Mufahat Sharh Mishkat al-Masabeeh". Its author intended to clarify hadiths, explain them and indicate their degree, and distinguish their saheeh from the poor, while criticizing them in support and in solidarity

***Key words**: criticism of the body of the year - internal criticism -reasons for the texts.*